مقدمة

الموضة هى النبض السريع الدائم للأفكار ، والاتجاهات الجديدة ، فهي صورة لمدى تكيف الإنسان مع عالمه المتغير . وعند تحليلها نجد أنها تتضمن فلسفة الفترة الزمنية التي توجد بها ، فتعكس أحداث ومتغيرات العصر من النواحي السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والتكنولوجية ، فهي لا تعبر فقط عن الصورة الحيوية لأفكار وعادات المجتمع بل تعبر عن أسلوب الحياة التي تسود فيه ، واستمرارها يؤكد نجاحها ومعايشتها للواقع الذي وجدت من أجله .

وبتتبع الأبعاد التاريخية للعوامل المؤثرة على اتجاهات التغير في شكل الأزياء للأفراد في العصور المختلفة نجد أنها تأثرت بمؤثرات كثيرة ، ومتنوعة تستحق أن توضع في اعتبار وخبرة المتخصص في إنتاج الموضة حيث تكون دراسة وافية لما يدور في واقع العصر من ملابسات خاصة به من تغييرات مختلفة ، أي أن هناك علاقة متبادلة بين التغير في شكل أزياء الأفراد ومتغيرات العصر .

فعند التعرض لدراسة العصر الفرعونى ، نجد أن العقيدة الدينية كانت من أبرز العوامل التي أثرت على الأزياء في الدولة الحديثة ، فعندما ظهر الاتجاه إلى عبادة قرص الشمس وانتشار العقيدة الآتونية تأثرت كافة الفنون بالنزعة الدينية الجديدة ، ومنها الأزياء في تلك الفترة باعتبارها إحدى فروع الفنون التشكيلية ، وبالتحليل الفنى لنوعيات أزياء النساء التي تواجدت في تلك الفترة نجد أن الإضافات التصميمية التي تشكل تغيراً اعتمدت على عبادة آتون ، ولما كانت (عبادة الشمس وأشعتها) فإن الإحساس الإشعاعى سيطر على جميع تصميمات تلك الفترة . وفى الصورة رقم (١) نجد الملكة نفرتيتي قد بدت في ثوبها ذي الكسرات المتتالية الذي اعتمد على الأسلوب الاشعاعى المقتبس من أشعة الشمس ، والذي يتماشى مع الطبيعة الأنثوية لجسم نفرتيتى ، وقد أخذت كل نساء تلك الفترة تحذو حذوها فأصبحنا نرى كل نساء تلك الفترة قريبات الشبه بجماليات نفرتيتى مع التواضع في شكل الزى ، وبالصورة التي تتناسب مع طبيعة ومركز كل امرأة .

أما الأزياء الإغريقية فقد تأثرت بدرجة كبيرة بالعوامل الفنية ، نتيجة لتميز الإغريق بالشاعرية والإبداع المرهف ، والنظرة المتأملة فظهرت سمات إغريقية خاصة ومميزة ، ظهرت في ليونة الخطوط ونعومتها وشاعريتها ، كما تمكن الفنان الإغريقي أن يلم إلماماً تاماً

بتركيب الجسم البشرى وتكوينه فاستخدم هذه المعرفة في تصوير الحركة والأحاسيس وفى بناء التماثيل الإغريقية .

ونظراً لتقدم الإغريق في فن العمارة التي تتمثل في الأعمدة الإغريقية على هيئة طرازين هما الطراز الدورى * والطراز الآيونى ** اللذان يعبران عن طبيعة شعب كل من الدوريين والآيونيين فقد تأثرت الأزياء الإغريقية بتلك الطرز المعمارية ، فتميزت بالشكل الفضفاض ذي الثنايا ، والمكون في الأصل من قطعة واحدة مستطيلة أو قطعتين من القماش يتم لفهما على الجسم بحيث تصنع العديد من الكسرات ، والثنايا اللينة التي تتشابه مع الثنايا الموجودة في الأعمدة ، ومن ثم فقد وجد تواز بين الشكل الخارجي للرداء والعامود ولذلك سميت الأزياء بأسماء الأعمدة نفسها ، كما في صورة رقم (٢) ، وشكل رقم (١) .

ثم جاءت الدولة الرومانية التي تأثرت الأزياء فيها بالنواحى السياسية والاقتصادية حيث تميز الرومان بكثرة غزواتهم وفتوحاتهم فظهرت أزياؤهم تعبر عن الترف والفخامة ولأن الرومان قد شغلوا بالحروب والفتوحات فقد أخذوا من الإغريق فنونهم وآدابهم وتماثيلهم ومسارحهم ومبانيهم وحتى دياناتهم فاستعاروا الشئ الكثير من الإغريق .

ولذلك فنجد أن التغير الذي حدث في أزيائهم تغيير مادي ، وليس تغييراً في الإضافات التصميمية ، أو الفنية فجاءت أزياؤهم تشبه إلى درجة كبيرة أزياء الإغريق مع استخدام خامات أكثر ثراء ، وإضافات زخرفية كثيفة ، ومع ظهور العباءات باتساعات أكبر بكثير من العباءات الإغريقية ، ولم يستطع الرومان أن يضيفوا زياً واحداً ينفردوا به سوى زى تم ابتكاره لرؤساء الحروب وهو التوجا Toga ، كما في صورة رقم (٣) حيث كان قادة الرومان يرتدونها في كل المناسبات التي انتصروا فيها وكانت تعتبر زياً يقتصر استخدامه على فئات محدودة في البداية ثم أصبح زياً يتميز به الشخص الروماني .

وفى القرن السادس بدأ الفن البيزنطي نهضته الأولى وهو المرحلة المسيحية للفن الإغريقى الرومانى . وكان للعقيدة والدين الجديد أثراً واضحاً على أزياء تلك الفترة حيث دعت المسيحية إلى الاحتشام فاتجهت الأزياء إلى إخفاء الجسم البشرى كلية ، وتحولت

---

* يتميز العامود الدوري بأنه يجمع بين البساطة والفخامة وقلة الزخارف .

** العامود الآيونى يتميز بأنه أكثر تعقيدا لزيادة عدد القنوات الطولية وبه تاج يتميز بوجود أشكال حلزونية على كلتا الجهتين وفى النصف الثانى من القرن الخامس قبل الميلاد اندمج الطرازان وأعطوا طرازاً ثالثاً يسمى بالكورنثى .

الأزياء الرومانية البسيطة إلى أزياء تتسم بالعظمة والفخامة وتعتمد على المنسوجات الحريرية مع إدخال الخيوط الذهبية في النسيج وتطعيم الزى بالأحجار الكريمة ، مما أعطى الأزياء البيزنطية خاصية عدم الانثناء فجاءت الأزياء صلبة (معوقة للحركة) ومضبوطة ولكن ليس بإحكام على الجسم وجميعها تلف الجسم بالكامل .

وفى أواخر القرن العاشر ظهر الفن الرومانسيكى * الذي أطلقه مؤرخو الفنون على ذلك الطراز الفنى الذي يميز عمارة كنائس تلك الفترة التي استخدمت العقود المستديرة المعروفة في الكنائس البازليكية الرومانية ، كما تميزت عمارة الكنائس بوجه عام بالطابع الأثري الضخم والمتانة والقوة وكثرة الاستدارات والإفراط في الزخارف والنقوش المتعددة والمتنوعة وضخامة الأحجام .

وقد تأثرت أزياء تلك الفترة بالعمارة الرومانسيكية بدرجة كبيرة حيث اتجهت الأزياء إلى الهدوء والوقار والطابع الضخم ، كما اتسمت بالاستدارات والإفراط في الزخارف والنقوش المتعددة والمتنوعة وضخامة الأحجام ، وظهرت الاستدارات ــ أيضاً ــ في أشكال العباءات الدائرية ونصف الدائرية ، وكذلك في شكل فتحات الرقبة وأشكال الأكمام الطويلة الواسعة المنتهية بالأساور الدائرية قمعية الشكل التي تكشف عن جمال استدارة الأيدى ، كما في صورة رقم (٤) .

ثم تلا ذلك العصر القوطى الذي امتد في الفترة ما بين منتصف القرن الثانى عشر وحتى منتصف القرن الخامس عشر تقريباً . وفيه تأثرت الأزياء بعديد من العوامل منها عوامل اقتصادية واجتماعية وفنية ، حيث شهد هذا العصر بداية الاقتصاد النقدى والتجارى وظهرت الرأسمالية وازدهرت المدن حتى وصل هذا الازدهار الاقتصادى ذروته ، كما كان للتطورات الاقتصادية المختلفة التي حدثت في تلك الفترة أثر كبير في ظهور الطبقة البرجوازية ** حيث ازداد نفوذها كثيراً كما ازداد تمتعهم بالغنى والثراء وامتلاك الإقطاعيات وأصبح هؤلاء البرجوازيين سادة تلك الفترة .

---

* الفن الرومانسيكى هو : الفن الذي ازدهر في أوربا الغربية أى أوربا الكاثوليكية – وذلك لمدة ثلاثة قرون منذ أواخر القرن العاشر إلى منتصف القرن الثانى عشر تقريباً . (حنا سميكة – د.ت – ٢٠٥)

** البرجوازية هى : طبقة اجتماعية ارتبطت تاريخياً من حيث نشأتها بالمدن أو القرى الكبيرة ذات الأسواق التجارية وكانت متميزة عن طبقتى العمال والنبلاء وبالتالى ترمز إلى طبقة التجار وأصحاب الأعمال والمحلات العامة والمعنيين بالإشراف على شئون الصناعة والتجارة ومع وضوح انهيار المجتمع الإقطاعي تسلمت البرجوازية زمام القيادة الاقتصادية والسياسية واستفادت استفادة قصوى من نشوء العصر الصناعى فازداد النظام الرأسمالى قوة تملك البرجوازيون الثروة العقارية والزراعية والصناعية .

وقد أدى ذلك إلى حدوث ثورة في التبادل التجارى لجميع المجالات فتم استيراد أغلى أنواع الفراء من دول الشمال والتى أثرت على أزياء النساء القوطية ، حيث استخدم الفراء في زخرفة الأزياء فظهر على شكل كتل زخرفية ضخمة حول أطراف الرداء الخارجى أو كبطانة له ، وأحياناً كان يصنع منه الرداء بأكمله .

كما تميزت العمارة القوطية بالعقد المدبب الذي استخدم لضرورته الإنشائية فما لبث وأن تطور وانتقل من العقود إلى جميع أنواع الفتحات والنوافذ حتى في الأشكال الزخرفية .

وقد تأثرت الأزياء بالعمارة القوطية وظهر ذلك في أشكال الأكمام القمعية ، والقصات الحادة عند الوسط وفتحات الرقبة على شكل (V) وأشكال الذيول الجرارة المدببة والمشرشرة والنهايات المسننة التي تتخذ الشكل المدبب وكذلك في أغطية الرأس القمعية العالية جداً التي يتدلى من نهايتها طرحة شفافة كما في صورة رقم (٥) .

وفى عام ١٥٢٧ غزت أسبانيا إيطاليا واستولت عليها وقد اجتاحت هذه الأزمة إيطاليا بأسرها وامتدت إلى جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية وأصبح من المستحيل الاحتفاظ بتصور خيالي لحالة مستقرة ومتوازنة وبالتالي انعكس أثرها على الفن فظهر طراز فنى جديد ليعبر عن تلك الأزمة وأطلق عليه اسم المانيرزم أو النهجية (Mannerism) * ، وسمى فنانوه بالافتعاليين (Mannerists) لأنهم جمعوا بين محاكاة النماذج الكلاسيكية وبين تشويهها في آنٍ واحد فبدت النهجية بأشكال مختلفة بعضها يقوم على تعديل النسب بأشكال غير تقليدية بالإضافة إلى المبالغة في تسجيل الانفعالات بطريقة متكلفة غير عادية بالتضاد القوى أو الاتجاه إلى التكعيب وتجسيم الأشياء إلى درجة التضليع .

وظهر ذلك على طرز أزياء تلك الفترة حيث تأثرت بهذا الاتجاه الفنى الجديد فظهر الفرذنجيل الأسباني (the Spanish farthingale) شكل رقم (٢) ** وهو عبارة عن جونلة داخلية مدعمة أخذت عدة أشكال تبعاً لتطورها وكان الغرض من استعمالها تغيير معالم الشكل

---

* المانيرزم هو : اسم أطلق على الأسلوب المسيطر على الفنون في إيطاليا من سنة ١٥٢٠ تقريباً حتى سنة ١٥٩٠ وهذه الكلمة قد جاءت من Dimaniera والتي تعنى الفساد أو التشويه وقد أشار أحد الكتاب إلى أن الاختلاف في العمل الفني بدون الرجوع إلى الطبيعة ولكن الاعتماد على الفكرة الداخلية للفنان هي التي شكلت هذا الاتجاه الذي بدا مخالفاً لاتجاه عصر النهضة .

** الفارذنجيل الأسباني هو : عبارة عن جونلة داخلية جرسية الشكل من قماش ثقيل فاخر مثبت بداخله دوائر من الخشب المطوع مرتبة بشكل نظامى وفيما بينها فواصل حيث تزداد حجم هذه الدوائر من الوسط إلى الأرداف وذلك لزيادة ضخامة حجم الجونلة .

الحقيقي للمرأة الذي يختفي وراء هذا الزى مع إعطاء التكعيب والتجسيم للشكل الخارجي للمرأة .

كما تميز الجزء العلوي للجسم بالضيق الشديد وفتحات الرقبة العميقة ، والأكمام الواسعة المدعمة بالحشو ، وظهرت أطواق العمق الضخمة التي تصبغ من أقمشة التل المنشاة أو الأقمشة الرقيقة التي تصنع على هيئة فولونات ، كما في صورة رقم (٦) .

وفى أواخر القرن السادس عشر ظهر الطراز الباروكي * الذي يعتبر من الطرز الفنية التي تزخر بتاريخ فني عظيم يمثل حضارة عريقة ومدنية زاخرة ، لها قواعدها وقدمها الراسخ في مختلف أنواع الفنون التشكيلية المتواجدة في القرن السابع عشر ، فاتجه الفن الباروكي إلى تحويل كل شئ في الحياة إلى خيال .

وقد عكست أزياء القرن السابع عشر روعة وجمالاً للطراز الفني الجديد فقد تأثرت الأزياء في تلك الفترة بالعمارة ، والنحت الباروكى لدرجة كبيرة ، فاتجهت الأزياء هذا الاتجاه المعماري الباروكي وخرجت عن قواعد النسب والتوازن الكلاسيكية إلى الاستدارات كما تميزت بالخطوط اللينة المستديرة التي ظهرت في فتحات الرقبة الدائرية الشكل ، كما تأكدت الاستدارات التامة من خلال طوق العنق الدائرى وشكل الأكمام المستديرة الضخمة بالإضافة إلى الشكل القمعى للأساور ، وخط الوسط الدائرى المرتفع، كما في صورة رقم (٧)

وفى النصف الثانى من القرن السابع عشر تولى عرش فرنسا الملك "لويس الرابع عشر"** الذي قد يرجع إليه السبب في هيمنة فرنسا على الموضة حتى الآن ، حيث إنه اهتم اهتماماً شديداً بالآداب ، والفنون لتمجيد عهده ، فلم يشهد التاريخ من قبل حكومة شجعت الفن أو هيمنت عليه كما فعلت حكومته ، فدعم الأكاديميات التي ساعدت الفنانين الفرنسيين على تعلم فنون العصر القديم ، وعصر النهضة ودراستها دراسة ميدانية ، كما أقام قصر فرساى ، وجمع فيه أعظم شخصيات عصره من كتاب وأدباء وفنانين ومهندسين وأنتجوا فناً يعجب

---

* الباروك Baroque فن ظهر في عصر النهضة في أوروبا ، وامتد من نهاية القرن السادس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر وارجع المؤرخون كلمة باروك إلى اعتقادين الأول : أنها مشتقة من كلمة باروك barroca البرتغالية ومعناها اللؤلؤ الخام كثير الانحناء ، والثاني : أكثر قبولاً حيث انتشر هذا التعبير بين الفلاسفة الإيطاليين في عصر النهضة كدليل على الإفراط والتكلف في اعتناقهم للفلسفة ــ اللاهوتية الكاثوليكية .

** لويس الرابع عشر تولى حكم فرنسا وهو صغيراً في عام ١٦٤٣ وكانت فترة حكمه طويلة حتى عام ١٧١٥ أحد العوامل الرئيسية في حصول فرنسا على هذا الوضع من الأهمية فقد تزوج من أخت ملك أسبانيا وكان البلاط الخاص بهما مهد النموذج الثقافى للمجتمع الاوربى .

الجمهور القليل المؤلف من الملك والبلاط وكان الفرساى في عام ١٧٠٠ إطاراً لا مثيل لـه فهو الذي ينتج الموضة ويقودها ويتحكم فيها وبذلك ظهر فن الركوكو * الذي تميـز بكثافـة الزخارف .

وقد تأثرت بالتبعية بهذا الطراز الفني فجاءت الأزياء كثيفة الزخرفة بالإضافة إلى التطور في صناعة أقمشة المخرمات الذي ساعد على انتشار أشكال الموضة الأسبانية التـي تعتمـد على طوق الرقبة المدعم كثير الكشكشة كما في لوحة رقم (١).

وفى خلال عصر لويس السادس عشر (١٧٧٤ – ١٧٩٢) اندلعت الثورة الفرنسية عـام ١٧٧٤ إلا أن الموضة أخذت في التغيير نتيجة لتأثير "مارى أنطوانيت Marie Antoinette" ملكة فرنسا من ١٧٥٥ حتى ١٧٩٣ وقد وصلت بأشكال الموضة بالبلاط إلى اتجـاه جديـد فقامت بتحويل القصر الملكى بمدينة فرساى إلى مركز للموضة وكانت تقوم بإشباع كل نزوة اعترتها . فكانت تستورد الأقمشة التي تريدها من إنجلترا ، وفرنسا ومن الـشرق . وظلـت أقدار التجار الفرنسيين ، والعلاقات التجارية مع الدول الأجنبية غالباً ما تتوقف على التوازن بين متطلبات مارى أنطوانيت وإشباع احتياجاتها .

وعندما قامت الثورة الفرنسية حدث انقلاب كبير ضد التقاليد في المجتمع الفرنسي وتنكر الرجال والسيدات في الزى الشعبي العام ، وحرمت ارتداء الملابس الملكية أو المطرزة كدليل على التميز الاجتماعي . فظهرت الأزياء بسيطة مقتبسة من الفستان اليوناني الرومـاني ذي الخصر المرتفع والمنسدل باتساعات تتناسب مع شكل الجسم بدون ارتـداء مـشدات كتقليـد للتماثيل الرومانية القديمة وطرزها ، التي كان نابليون يؤسس إمبراطوريته على غرارها كما أنها جاءت شفافة بيضاء من أقمشة الفوال مما يعد تغيراً جذريا عن الأقمشة المطرزة الثقيلـة التي ظهرت في الفترات السابقة ، كما في لوحة رقم (٢) .

وكان للثورة الصناعية التي ظهرت في إنجلترا أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير علـى الأزياء الأوربية في القرن التاسع عشر والذي عرف بعصر البخار حيث ظهرت الآلـة فـي كافة الميادين وازدادت حركة التجارة بين الدول نتيجة للتقدم في وسائل النقل والمواصلات ،

---

* الركوكو Rococo : كلمة مشتقة من كلمة روكاى ومعناها الحجارة المزخرفة وهو اتجـاه فنـي ظهـر فـي أوروبا خلال الفترة من عام ١٧٣٠ إلى عام ١٧٨٠ وتميز باسـتخدامها للرخاميـات والمـذهبات والزخرفـة بالخطوط المنحنية بطريقة انسيابية ومحاكاة لأشكال الطبيعة .

وحل الإنتاج بالجملة محل الإنتاج الفردي ، وازداد نفوذ الرأسمالية نتيجة للنشاط الصناعي . كما ازداد عدد أفراد الطبقتين الاجتماعيتين المتوسطة والعمالية ازدياداً كبيراً .

بالإضافة إلى التطور في مجال الغزل والنسيج حيث دخلت الآلة في جميع عمليات النسيج التقليدية ، وساعدت في عمليات التجهيز والتحضير والغزل والصباغة وظهرت صبغات صناعية ساعدت في الحصول على ألوان لامعة مضيئة لم تكن معروفة من قبل . وكان لظهور ماكينة الحياكة على يد "ايزاك ميريت سنجر Isaac Merrit Singer" عام ١٨٥١ ، وتطورها أثر كبير في مجال الملابس حيث ساعدت على إنتاج ملابس جاهزة لنساء الطبقة المتوسطة بمستوى جيد وبأسعار مناسبة وعلى ظهور أنواع جديدة من القطع الملبسية التي تتناسب مع الأوقات المختلفة في اليوم تبعا للوظيفة والموسم فظهر الزى الموحد والملابس الرياضية ، بالإضافة إلى أن الآلة قد ساعدت على زيادة عدد القصات وخطوط الحياكة في التصميمات عن ذي قبل ، كما في صورة رقم (٨) .

ومن خلال العرض السابق يتضح أن هناك تغيراً ــ دائماً ــ في شكل أزياء الأفراد نتيجة لعدة عوامل منها عوامل : عقائدية ، سياسية ، اجتماعية ، اقتصادية ، ثقافية ، تكنولوجية ، وفى مقدمة هذه العوامل حاجة البشرية إلى التغير والتجديد الدائم ، كما يتضح لنا ــ أيضاً ــ أن التغيرات التي تطرأ على الأزياء (الموضة) بدأت في مراحلها الأولى تلبي احتياجات الطبقة الأرستقراطية ، واقتصر انتشارها بين أفراد تلك الطبقة ولكن نتيجة للتغييرات التكنولوجية والاقتصادية التي أثرت بدورها على النواحي الاجتماعية ، نتج عنها ظهور طبقات اجتماعية جديدة في المجتمع تنافس الطبقة العليا في مسايرة الموضة ، فكانت عاملاً أساسياً في تغير طبيعة الموضة لتتناسب مع الطبقات المختلفة للمجتمع . وأصبحت الموضة لغة يتم عن طريقها مخاطبة كل الطبقات الشعب باحتياجاتهم الفعلية ، أي أصبح الجمال الفعلي صورة مطلوبة من الموضة ، وامتد هذا الاتجاه في الموضة من المحلية إلى العالمية ، التي أصبحت لغة العصر في العالم بأكمله ، وهو ما يطلق عليه اتجاهات الموضة العالمية . وهذا في مضمونه يعبر عن مدى نجاح منتجي الموضة في التعبير عن متغيرات العصر ومحاكاتها محاكاة صادقة .

ومن هنا بدأ التفكير في دراسة العوامل المؤثرة على اتجاهات الموضة لأزياء النساء في النصف الأول من القرن العشرين حيث الفترة التي تميزت بكثير من المتغيرات الأيديولوجية على مستوى العالم ، وفيها ظهرت كلمة موضة بمعناها المعروف حالياً ، والتي واكبت ظهور

مصممي الأزياء الذين أرسوا قواعد الموضة الحديثة ، والتي انطلقت من كل من فرنسا حيث الموضة الراقية التي تخاطب الفئات العليا من المجتمعات ، وإنجلترا التي تصدرت صـــناعة الملابس الجاهزة .

ويتناول الكتاب توضيح الفرق بين الموضة وإتجاهات الموضة ، وأثر العوامل الـــسياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والتكنولوجية ، ودور الفلسفة الفكرية لمـــصممى الأزيـــاء على صياغة إتجاهات الموضة فى الفترة من ١٩٠٠ : ١٩٥٩ بالإضافة إلى توضيح تقنيـــات التنفيذ لكل اتجاه ظهر فى تلك الفترة .